

مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية

المجلد (4) العدد (13) - مارس 2025م

الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 5428 - 2812

الموقع الإلكتروني: <https://jlais.journals.ekb.eng>

حفظ الدين والنفس عند المفسرين المعاصرين

أ/ هشام عبد الله زكي بيومي

باحث دكتوراه بقسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (4) Issue (13)- march2025

Printed ISSN:2812-541x

On Line ISSN:2812-5428

Website: <https://jlais.journals.ekb.eng/>

حفظ الدين والنفس عند المفسرين المعاصرين

أ/ هشام عبد الله زكي بيومي

باحث دكتوراه بقسم الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث مفهوم حفظ الدين والنفس كما ورد عند المفسرين المعاصرين؛ حيث يمثل حفظ الدين أعلى مراتب الضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية، ويتبعه حفظ النفس. يبدأ البحث بتعريف مفاهيم الحفظ والدين والنفس لغةً وشرعاً، ثم يناقش مكانة حفظ الدين وأهميته في ضمان سلامة العقيدة والعمل على تثبيت أركان الإسلام، ومواجهة ما يهدد الدين من بدع وشبهات.

كما يسلط البحث الضوء على أهمية حفظ النفس بوصفها المرتبة الثانية بين الضروريات الخمس، ويتناول المبادئ الإسلامية التي تهدف إلى حماية النفس البشرية من القتل والاعتداء وتوفير بيئة تضمن كرامتها وسلامتها، ويستعرض البحث ترتيب الضروريات الخمس وفق أولويتها: حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، والمال، مبيناً دور كل منها في بناء مجتمع إسلامي متماسك ومستقر.

ويشير البحث إلى أن الشريعة الإسلامية تعطي الأولوية لحفظ الدين باعتباره الرابط الأساسي بين العبد وخالقه، ويليه حفظ النفس الذي يضمن بقاء الإنسان ليؤدي دوره في العبادة والإعمار. كما يتناول البحث تفسير المفسرين

المعاصرين لنصوص القرآن الكريم المتعلقة بالضروريات الخمس، مع توضيح أهمية التربية الدينية في إصلاح المجتمعات وضمان استقرارها.

يختتم البحث بالتأكيد على أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية لضمان تحقيق مقاصدها في حفظ الدين والنفس، وحماية المجتمعات من الانحراف والفساد.

الكلمات المفتاحية:

العلم، حفظ الدين، العلماء، الإسلام، التعليم، البدع، التقدم، الأمة الإسلامية.

Abstract

This study explores the concept of preserving religion and life as addressed by contemporary Quranic exegetes. Preserving religion holds the highest rank among the five necessities in Islamic law, followed by the preservation of life. The research begins by defining the terms "preservation," "religion," and "life" linguistically and jurisprudentially, then delves into the significance of preserving religion as the foundation of Islamic faith. It emphasizes safeguarding its principles from distortions, innovations, and doubts.

The study highlights the preservation of life as the second priority among the five necessities, discussing Islamic principles aimed at protecting human life from harm and ensuring dignity and safety. It also examines the hierarchical arrangement of the five necessities: preserving religion, life, intellect, lineage, and wealth, outlining the role of each in establishing a cohesive and stable Islamic society.

The research underscores that Islamic law prioritizes preserving religion as the essential link between individuals and their Creator, followed by preserving life to enable individuals to fulfill their roles in worship and societal development. Additionally, it reviews contemporary interpretations of Quranic verses related to the five necessities, emphasizing the role of religious education in societal reform and stability.

The study concludes by stressing the importance of implementing Islamic law to achieve its objectives of preserving religion and life, thereby protecting societies from corruption and deviation.

key words:

Preserving Religion, Preserving Life, Five Necessities, Islamic Law, Contemporary Exegetes, Sharia Objectives.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل الدين، وجعل في الشريعة الإسلامية مقاصد سامية تحمي الإنسان وتضمن استقراره وسعادته في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على خير المرسلين، سيدنا محمد، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الشريعة الإسلامية جاءت بمبادئ وأحكام تضمن تحقيق المصالح ودرء المفسدات، ومن أبرز هذه المبادئ ما يعرف بالضروريات الخمس: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. وتعتبر هذه الضروريات الأساس الذي تُبنى عليه مقاصد الشريعة، ووسيلة لتحقيق العدالة والاستقرار في المجتمع.

يحظى حفظ الدين والمتمثل في صيانة العقيدة من الانحراف والبدع، والحفاظ على أركان الإسلام وأحكامه، بأهمية قصوى في الشريعة الإسلامية، حيث يُعد الأصل الذي يُحفظ من خلاله سلامة الفرد والمجتمع على المستويين الروحي والدنيوي. كما أن حفظ النفس، بما يشملها من حماية الحياة البشرية من أي اعتداء أو إهمال، يأتي في المرتبة الثانية ليعكس قيمة النفس الإنسانية في الإسلام.

يسعى هذا البحث إلى تناول مفهوم حفظ الدين والنفس عند المفسرين المعاصرين، من خلال استعراض تفسيراتهم للنصوص الشرعية ذات الصلة، وتسلط الضوء على ترتيب الضروريات الخمس وأثرها في بناء المجتمعات المسلمة. كما يناقش البحث أهمية التربية الدينية في حماية المجتمع من

الانحراف، ودورها في تكوين أفراد قادرين على حمل رسالة الإسلام والمساهمة في بناء أمة قائمة على المبادئ الإسلامية الراسخة.

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة حفظ الدين والنفس في ضوء تفسير المفسرين المعاصرين، مع التركيز على تطبيقات هذه المفاهيم في الواقع المعاصر، وكيفية تحقيق مقاصد الشريعة بما يسهم في استقرار الأمة الإسلامية وازدهارها.

أولاً: التعريف بحفظ الدين لغة وشرعاً:

(أ) تعريف حفظ الدين لغة: حفظ الدين مركب من كلمتين، فلا بد من تعريف كل كلمة على حدة لغة، أولاً.

1- تعريف الحفظ لغة:

[حفظ] حفظت الشيء حفظاً، أي حرسه، وحفظته أيضاً بمعنى استظهرته، والحفظ: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم. والمحافظة: المراقبة. ويقال: إنه لذو حفاظ وذو محافظة، إذا كانت له أنفة. والحفيظ: المحافظ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [سورة الأنعام: 104]. يقال احتفظ بهذا الشيء، أي احفظه⁽¹⁾.

2- تعريف الدين لغة:

هو جنس من الانقياد، والذل، فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً، إذا

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، باب الظاء، فصل الحاء، مع الفاء، (1172/3).

أصبح وانقاد وطاع، وقوم دين، أي مطيعون منقادون⁽²⁾.

قال ابن الأعرابي: "دان الرجل إذا عز، ودان إذا ذل، وكان إذا أطاع، ودان إذا عصى، ودان إذا اعتاد خيراً أو شراً"⁽³⁾، ودان بالإسلام ديناً بالكسر تعبد به وتدين به⁽⁴⁾.

أ) تعريف حفظ الدين شرعاً:

1- تعريف الدين شرعاً:

عرف علماء الشريعة الدين بأنه: "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول قبول ما هو عند الرسول ﷺ"⁽⁵⁾.

وقيل: "هو وضع إلهي يدعو إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"⁽⁶⁾.

2- تعريف حفظ الدين شرعاً:

يمكن تعريفه بأنه: "تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣١٩/٢)، مادة (دين)، باب الدال، فصل الياء، مع النون.

(3) لسان العرب لابن منظور (١٤٦٩/٢)، المعجم الوسيط، المؤلف: نخبة من اللغويين بجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مُقَدِّمَتُهَا 1392هـ = 1972م]، ص (317)، وما بعدها، مادة (دين)، باب الدال، فصل الياء، مع النون.

(4) المصباح المنير للفيومي، ص (١٢٥)، مادة (دين)، باب الدال، فصل الياء، مع النون.

(5) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (المتوفى سنة 816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1405هـ، ص (١٧٤).

(6) بحوث مهددة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، ص (٣٣)، سنن الله في إحياء الأمم، ص (٢١١).

والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف⁽⁷⁾.

ثانياً: التعريف بحفظ النفس لغة وشرعاً:

(أ) تعريف حفظ النفس لغة:

1- تعريف الحفظ لغة: مرّ في تعريف حفظ الدين لغة

2- تعريف النفس لغة:

"النفس: معروفة، والجميع النفوس. والروح-أيضاً-: نفس، وكذلك الدم، ورجل له نفس: أي خلق وجلادة وسخاء، ومات حتف نفسه: إذا مات على فراشه، وأنت في نفس من أمرك: أي في سعة، والأنفاس: الساعات"⁽⁸⁾.

(ب) تعريف حفظ النفس شرعاً:

"هو الكلية المقاصدية الشرعية الثانية، ومعناها: مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة"⁽⁹⁾.

رتبة مقصدي حفظ الدين والنفس عند المفسرين المعاصرين

إن حفظ الدين بالتمسك به والعلم بأحكامه والعمل بها، والتمسك بالأوامر الدينية التي تحقق كل المصالح الدنيوية والأخروية أعلى مراتب الضرورات الخمس على الإطلاق، لذلك يضحى بالأنفس والأموال من أجل حفظ الدين،

(7) علم المقاصد الشرعية، المؤلف: نور الدين بن مختار الخادمي، ص81.

(8) المحيط في اللغة، المؤلف: كافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)،

(هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى،

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، باب الثلاثي الصحيح، السين والنون مع الفاء، (341/8).

(9) علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، ص81.

وهذا واضح جليّ عند كثير ممن بلغ المبالغ في العلوم الدنيوية لما غاب عنه حفظ الدين وجدنا هم يستخدمون هذا العلم فيما يضر البشرية بل وغير البشرية، وهو ما نجده عند علمائنا من المفسرين المعاصرين واضحاً جليّاً.

رتبة حفظ الدين والنفس بين الضروريات الخمس:

إن رتبة حفظ الدين أعلى رتبة في الضروريات الخمس، يليها رتبة حفظ النفس، وما يليهما يعد تابع ومكمل لهما.

يوضح الإمام الشاطبي رضي الله عنه ذلك بقوله: " فإن من الضروريات إذا تؤملت وجدت على مراتب في التأكيد وعدمه: فليست مرتبة النفس كمرتبة الدين، وليس تستصغر حرمة النفس في جنب حرمة الدين، فيبيح الكفر الدم، والمحافظة على الدين مبيح لتعريض النفس للقتل والإتلاف، في الأمر بمجاهدة الكفار والمارقين عن الدين ومرتبة العقل والمال ليست كمرتبة النفس، ألا ترى أن قتل النفس مبيح للقصاص؟ فالقتل بخلاف العقل والمال، وكذلك سائر ما بقي، وإذا نظرت في مرتبة النفس تباينت المراتب، فليس قطع العضو كالذبح، ولا الخدش كقطع العضو وهذا كله محل بيانه الأصول⁽¹⁰⁾.

ويستنتج مما سبق أن ترتيب الضروريات الخمس في الشريعة

الإسلامية حسب أهميتها كما يأتي:

1- حفظ الدين: يُعتبر حفظ الدين الأولوية العليا في الشريعة الإسلامية لأنه يمثل العلاقة بين الإنسان وخالقه. الحفاظ على الدين يضمن أداء الواجبات

(10) الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (518/2).

الدينية وعبادات المسلمين بشكل صحيح ويمنع انتشار البدع والضلالات.

2- حفظ النفس: يأتي في المرتبة الثانية بعد حفظ الدين، فحماية النفس البشرية هي أمر مقدس في الإسلام، ويُعتبر الاعتداء على النفس جريمة كبيرة، والشريعة تضع تشريعات صارمة لحماية الأرواح، ومنع القتل والاعتداء.

3- حفظ العقل: فهو وسيلة الإنسان للإدراك والتفكير السليم، لذا يحتل المرتبة الثالثة، الإسلام يحث على طلب العلم والمعرفة ويحرم كل ما يفسد العقل مثل المخدرات والكحول.

4- حفظ النسل: وهو يُعنى بحماية الأسرة والعرض والنسب. يأتي في المرتبة الرابعة نظرًا لأهمية الأسرة في بناء المجتمع، والشريعة تحرم الزنا والفواحش وتحث على الزواج الشرعي وتربية الأبناء تربية صالحة.

5- حفظ المال: ويأتي في المرتبة الخامسة، والمال ضروري لتلبية احتياجات الإنسان اليومية وتحقيق الاستقرار الاقتصادي، والشريعة تحمي المال من السرقة والغش والفساد وتشجع على الكسب الحلال والتصرف في المال بشكل يتوافق مع المبادئ الإسلامية.

وهذا الترتيب يعكس الأولويات التي يجب مراعاتها في الشريعة الإسلامية لضمان استقرار وسلامة الأمة والمجتمع.

ولقد وعى علماؤنا الكرام من المفسرين -رحمهم الله- ذلك فجعلوا حفظ الدين على رأس الضروريات الخمس، يليه حفظ النفس، يليهما بقية الضروريات الخمس الكلية.

يقول الشيخ المراغي رحمه الله: "البشر لم يصلوا في عصر من

العصور إلى عشر ما وصلوا إليه في هذا العصر من العلم بالمنافع والمضار ومعرفة المصالح والمفاسد في المعاملات والآداب، ومع هذا فإن العلم وحده لم يغنهم شيئاً، فكثر في البلاد الجرائم من قتل وسلب وإفساد زرع وفسق وفجور ونحو ذلك مما كان سبباً في تدهور نظم المجتمعات، فخير وسيلة لإصلاح الأمم تربية الأحداث والنابتة تربية دينية بإقناعهم بمنافع الفضائل كالصدق والأمانة والعدل، وإقناعهم بمضار الرذائل، لأن الوازع النفسي أقوى من الوازع الخارجي⁽¹¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: 33].

يقول الشنقيطي رحمه الله: "ذكر الله تعالى تحريم الإفساد في الدين بالشرك والقول على الله بغير علم؛ لأن أعظم إفساد الدين الإشراك بالله، والقول في دين الله بلا علم، فهذا أعظم فساد الدين، قالوا: فعلى هذا تكون الآية الكريمة إنما تداخلت عطوفها وتكررت ليكون فيها الزجر عن الأنفس، والزجر عن الأموال، والزجر عن الأعراض، والزجر عن الأنساب، والزجر عن العقول، والزجر عن الأديان. وقد علمنا من استقراء الكتاب والسنة أن الله (جل وعلا) في هذا التشريع الكريم الذي أنزله على هذا النبي الكريم ﷺ بالغ في المحافضة على هذه الجواهر الست، بالغ على حفظ الدين كما قال ﷺ: «مَنْ

(11) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (211/8).

بَدَل دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ»؛ محافظة على الدين لئلا يغيَّر ويبدَّل، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: آية 193] أي: حتى لا يبقى شرك، بدليل قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فدل ذلك كله على أهمية حفظ الدين وكونه الضرورة الأولى والأهم في الضرورات الخمس الكبرى⁽¹²⁾.

قائمة المصادر والمراجع:

- الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (المتوفى سنة ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

⁽¹²⁾ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير [آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢)]، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، (الأولى لدار ابن حزم)، (178/3).

- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير [آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢)]، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م، (الأولى لدار ابن حزم).
- المحيط في اللغة، المؤلف: كافي الكفاة، صاحب، إسماعيل بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي إقليما، التتاري بلدا (ت ١٣١٦ هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ.

المواقع الإلكترونية:

- <https://www.alukah.net/sharia>
- http://www.hindawi.org/?trk=article-ssr-frontend-pulse_little-text-block
- <https://shamela.ws/>

- <https://waqfeya.net/>
- <https://www.islamweb.net/ar/fatwa>